بيت المقدس

خواطر سجين

أبو حذيفة السوداني

بسم الله الرحمن الرحيم

1439 هـ - 2017 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

خواطر سجين

بقلم

الشيخ أبي حذيفة السوداني

بيت المقدس

مقدمة الناشر

هناك خلف أسوار السجون، تدور فصول معركة كبرى، لا تقل أهمية عن معارك الأمة مع أعدائها، ولا تقل ضراوة عن ضراوة المعارك الشرسة التي تدور رحاها في ميادين الجهاد المختلفة، ذلك أنها معركة البقاء والكينونة، معركة العقيدة السامقة والانتصار للمبادئ بأغلى ثمن، إنها معركة يتجلى فيها طغيان وجبروت الظلم كالوحش يريد أن ينقض على فرسان العزيمة والإباء، جنود الإسلام الأسرى الأشاوس، ليرجعوا عن دينهم، فما يلبث أن يتقزم هذا الوحش لمهابة الطلّة، طلة الإيمان الراسخ المتجذر، ذلك أنها طلّة تنورت من معين القرآن ومن هدي خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، فلم يعد يهم صاحبها موت ولا تعذيب ، لم تعد تساوي عنده اللحظات العسيرة إلا زيادة أجر على الابتلاء. فمن يقدر على هزيمة من يزيده الابتلاء ثباتا واعتزازا واستبشارا. من لا يزيده طغيان السجان وظلمه إلى رقيا في مراتب الوصال السماوي وقربا من رب السموات والأرض، فأي انتصار يجرأ على المنافسة!.

في هذا الكتاب الذي ينبض بالحكمة والمحبة، وتتلألأ حروفه بحبر من الخبرة والتجربة والمشاعر الصادقة والمفاهيم الثابتة، يصور لنا الشيخ أبو حذيفة السوداني حفظه الله وتقبل منه رباطه في الأسر، يصور لنا بأسلوبه الأنيق والهادئ جمال وروعة النفوس المبتلاة في سجون الظلم والقهر الطاغوتية، يقفز بنا تارة إلى أدب السجون، وتارة لأخلاق الأسرى، أو يعرج بنا على تفانيهم وتنظيمهم وصبرهم رغم مكر السجان، فيبحر بنا في خيال ماتع عاشه حقيقه إخوان لنا لا زالوا في معركة السجن يسطرون قصة عبقرية الثبات في أحلك الظروف، وآخرون نجاهم الله فلا زالوا يحمدون ربهم ويشكرون،

وآخرون سبقوا إلى بوابة السماء رحمهم الله وتقبل منهم وجزاهم عن صبرهم وثباتهم خير الجزاء.

ولأنه كلم خط بروح أسير مجاهد، انتهل من ساحات الصبر والمصابرة ما يكفيه لأن ينسج بديع الحكم ، فيوثق بها التاريخ ويستخلص بها عذب الحديث والتجربة من قلب أسر مظلم، سارعت بيت المقدس للعناية بهذه الدرر ولجمع هذه الخواطر في كتاب واحد ينير رفوف مكتباتنا الإسلامية والجهادية، لعلنا نتعلم من خلال العيش مع روح الكاتب ونسيج حروفه، كيف يصنع الابتلاء من الرجال منابر علم وهدى وعطاء.

إن كل حرف خطه الأسير البصير، وكل نفس وكل إحساس، لكفيل بأن ينبهنا لجمال الروح المسلمة الصابرة المبتلاة ويحذرنا من مغبة التقصير في ذكر هؤلاء النبلاء ويدفعنا للسعي لفكاك أسرهم وبينهم طفاحلة العلم والنجباء، في زنازين انفرادية يسبحون بالليل والنهار. لا تزال معركتهم تدور رحاها، وفي كل يوم انتصار يبرق في فضاء السجن، بين ثبات وصبر وتذاكر في الله، بين حفظ لكتاب الله وتدارس لعلوم الإسلام وتسابق في الخدمة وعطاء الإيخاء، بين ابتسامة في وقت قهر تقتلع غرور الظالم، معاني راقية جدا ستجدونها في هذا السفر الماتع، لمن أحسن القراءة بقلبه والاستشعار.

فجزا الله الشيخ أبي حذيفة السوداني خير الجزاء على مشاركتنا هذه الخواطر البهية وهذا التاريخ الثقيل، ونرجو أن يحذو حذوه كل صاحب تضحية وتجربة فريدة عظيمة، حتى نتعاون على البر والتقوى ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.

فهرس الخواطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" (1) المجاهد والأسر "

قال الله تعالى :﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [1].. الجهاد في سبيل الله طريق شاق.. ومسيرة صعبة.. تكاليفه قاسية.. وتبعاته ثقال..ولكن عاقبته حميدة..هو درب التضحيات..فراق الوالدين.. وترك الزوجة والأبناء..والغربة عن الوطن.. والمطاردات الأمنية..والجراحات.. والأسر..أما القتل في سبيل الله فهو أسمى أماني المجاهد...

يظل (الأسر) هاجساً يؤرّق المجاهد.. يخشى أن يقع فيه.. وهو أكبر المخاوف التي تعتريه.. يهون دونه كل تبعات هذا الطريق.. ولكن شئنا أم أبينا.. ينبغي للمجاهد الذي سلك هذا الطريق أن يعلم أن (الأسر) هو أحد تكاليفه.. وأن يضع في حسبانه أنه ربما يخوض هذه التجربة ..وقد يدفع هذه الضريبة...

الوقاية خير من العلاج.. يحرص المجاهد على الأخذ بالأسباب التي تحول دون وقوعه في الأسر... على رأس تلك الأسباب التوكل على الله وحسن الظن به والثقة

[1] البقرة 216.

بكفايته.. ولن تنال كفايته إلا بتحقيق عبوديته.. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[2].. والكفاية على قدر العبودية..كلما ازدادت عبوديتك لله..إزدادت كفاية الله لك..كما قال ابن القيم .. ويجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله..ثم بعد ذلك يحافظ المجاهد على أمنه الشخصي..وأمن الجماعة التي يعمل من داخلها.. ثم يوطّن نفسه على كيفية التعامل مع الحدث إذا وقع في (الأسر)..

إلتقيت بعض الإخوان في السجن فكنت أسألهم : هل كنت تتوقع الأسر؟ كانت إجابات بعضهم بالنفي.. هؤلاء كان الأسر صدمة لهم.. مرّوا بتجربة قاسية في بداية أيامهم.. أستطيع أن أسميها (مرحلة إنعدام الوزن).. ولكن الله لَطَف بهم.. سرعان ما استعادوا توازنهم.. وتجاوزوا الصدمة الأولى.. واستقرت أحوالهم..

في عام 1422 هجري ..كنا عائدين من القصيم باتجاه مدينة الرياض..كنا أربعة أشخاص هم أفراد الخلية.. تحدث أحدنا عن عمليتنا العسكرية القادمة.. وعن تكاليفها وتبعاتها..والتي قد يكون (الأسر) من ضمنها.. فأفاد وأجاد.. فيما بعد.. أُسرنا جميعاً نحن الأربعة .. الأول حُكم (5) سنوات.. وخرج بعد (11) سنة.. والثاني خرج بعد أن أكمل محكوميته البالغة (15) سنة ..أما الثالث والرابع.. فأحدهما حُكم (12) سنة.. والآخر (14) سنة.. ولازالا في السجن منذ (16) عاماً.. فكّ الله أسرهما.. وفرّج عنهما وجميع أسرانا..

قال أحد أهل العلم:

[2] الزمر 36.

إنما يجاهد المؤمن في الله جهاده..

إن أخفق فإفاده..

أو أوذي فإراده..

أو نُفيَ فرياده..

أو سُجن فعباده..

أو عاش فقياده..

أو مات فشهاده..

فله الحسنى وزياده..

"(2) الأسير والتربية"

فترة التحقيق هي أصعب فترات السجن وأخطر مراحله التي يمر بها الأسير من حيث المعاناة التي يعيشها نفسياً وجسدياً...

في أيامي الأولى في الزنزانة الانفرادية.. وبعد أن قطعت شوطاً من التحقيقات التي تبدأ بعد صلاة العشاء وتمتد حتى أذان الفجر .. وأحياناً يستمر التحقيق إلى قرابة الثامنة صباحاً.. في تلك الأيام سخر الله لي مسئول المكتبة في الحائر القديم.. فطلبت منه أربعة كتب .. فأحضرها جميعاً.. تفسير ابن كثير المجلد الأول.. وفتح الباري كتاب الجهاد.. وزاد المعاد كتاب الجهاد وهو المجلد الثالث.. وتهذيب مدارج السالكين لابن القيم..كان حصولي على هذه الكتب نعمة من الله وفضلاً...

لكن من بين هذه الكتب الأربع كان تهذيب المدارج منّة ربانية وفتحا إلهياً على شخصي الضعيف..كنت بحوجة إلى مثله وأنا في تلك الظروف.. عشت بين صفحاته بكل خلجات قلبي.. قرأت سطوره بعيون فؤادي.. هزّ كياني بكلماته.. انسابت عباراته في أنفاسي.. ما أروعها من لحظات.. لا أستطيع أن أصف مشاعري وأنا بين دفتي الكتاب في تلك الزنزانة.. أثّر في نفسيتي.. أعاد تشكيل خارطتي..كنت كما الأوراق المبعثرة.. فجاء هذا الكتاب .. فرتبها ونظّمها..

عشت في ظلال هذا الكتاب خاصة وأنا أقرأ منازل التوكل.. الصبر.. الرضا.. الشكر.. فترك بصماته على روحي.. بل حياتي كلها.. وظلت آثاره لا تفارقني طوال السجن.. تغيرت اتجاهات تفكيري.. غدوت أنظر الى الابتلاء أنه نعمة

وليس نقمة.. وأن المحنة إنما هي منحة.. وأن الألم يصير أملاً... وتستعذب الروحُ كل مصيبة في الله...

أقول عن تجربة شخصية.. السجن فرصة عظيمة لتربية النفس.. هناك تنكشف النفس وتتعرى تماماً.. تعرف نفسك على حقيقتها.. تظهر مكنوناتها.. تعرف مواقع ضعفها.. وأين يكمن الخلل.. فتنطلق مستعيناً بالله.. تصلح وترمّم وتهذّب.. تجبر الكسور.. وتسد الثغرات.. وتعالج الهفوات..

ابن القيم رحمه الله أستاذ في التربية.. ومن خلال كتبه تنطلق لتربية نفسك وإعدادها روحياً وسلوكياً.. فيصبح كل حدث في السجن درساً تربوياً لك.. وتصير كل أزمة تجربة ذاتية نافعة لك.. وتغدوا كل واقعة معيناً روحياً لك.. إنها التربية من خلال الأحداث والوقائع اليومية في السجن..

لا تعجب إذا قلت لك أن السجن هو المحضن التربوي الذي يعيد صياغتك من جديد..تذوب في أحماضه أدران النفس وأهواؤها.. فتزكوا نفسك وتطهر.. تعرف طبيعة المعركة بين الحق والباطل.. لتخرج بإذن الله أصلب عوداً.. وأقوى شكيمة.. وأشد عزيمة.. قمة شامخة .. ثباتٌ حتى الممات.. فتواصل المسيرة المباركة.. مع الركب الأطهار..

"(3) الأسير وحفظ القرآن"

يبدأ الأسير خطواته الأولى في السجن بالإقبال على كتاب الله... ويفتح الله عليه بالاشتغال بحفظ القرآن الكريم.. فيصير الحفظ هو شغله الشاغل وهمه الوحيد.. يستيقظ وينام.. ويأكل ويشرب.. ولا همَّ له غير إكمال ورده من الحفظ.. فينسى كل هموم السجن.. وتتلاشى مع نشوة الحفظ كل المشاغل والغموم.. وهذا من رحمة الله ولطفه..

مع الحفظ.. يغدو الأسير نَهِماً لا يشبع ولا يملّ.. في البداية يكون ورده للحفظ صفحة واحدة يومياً.. ثم تبدأ الإنطلاقة الكبرى.. أعرف من كان يحفظ (ربع حزب) في اليوم... بل أعرف من تدرّج بورده فصار يحفظ في اليوم الواحد (حزباً كاملاً).. أي كل يومين يحفظ (جزءاً كاملاً)..

وبفضل الله بدأتُ منذ الأيام الأولى مشوار الحفظ.. وخرجت من الانفرادي فترة التحقيق وقد حفظت من سورة البقرة إلى آخر سورة المائدة... ومن الطرائف أن المحقق كان دائماً يسألني : أين وصلت في الحفظ؟ .. في الجماعي أكملت المشوار.. وبحمد الله وكرمه.. مع بداية الشهر العاشر من دخولي السجن كنت قد ختمت حفظ كتاب الله... ومع آخر آية حفظتها.. إنتابني شعور غريب.. مزيج من الفرح والسعادة.. شيء ما سرى في عروقي.. حالة أعجز عن التعبير عنها... سجدت سجدة طويلة.. شكراً لله..

قبل عمليات 11ربيع أول 1424 هـ ..كانت غرف الحائر القديم شبه خالية.. اجتمعت أنا وصاحبي في غرفة واحدة..كنا وحدنا.. وكان هو قد ختم القرآن ايضاً.. وضعنا برنامجاً صارماً لتثبيت الحفظ..كان لكل واحد منا ورده الخاص للمراجعة.. ثم لنا برنامج مشترك.. نقوم فيه بتسميع جزأين يومياً.. لمدة أسبوع.. ومع بداية كل أسبوع جزآن جديدان .. ونستمر هكذا حتى نهاية المصحف.. نجلس بعد صلاة العصر .. يبدأ أحدنا بتسميع الربع الأول.. ثم يقوم الآخر بتسميع الربع الذي يليه.. حتى نكمل الجزأين.. بعدها إستراحة قصيرة.. ثم نستأنف.. ولكن نعكس الترتيب.. فإذا بدأ صاحبي في المرة الأولى.. أكون أنا الباديء في هذه المرة.. استغرقت منا هذه الطريقة قرابة (4) شهور لختم المصحف..

إقبال عجيب من الأسرى على حفظ كتاب الله...سوق قد عُقدت ربح فيها أهل القرآن.. حالات نادرة في السجن ولظروف خاصة لم تتمكن من حفظ كتاب الله... أما أغلبية الأسرى فقد نالت هذا الشرف العظيم.. صار من المألوف في الحائر القديم حفظ القران.. وما كنا نسأل أي أسير نلتقيه ..هل حفظت القرآن؟... لأن الحفظ صار أمراً اعتيادياً جداً.. بل من غير الطبيعي أن تجد أسيراً لا يحفظ كتاب الله...

ولا شك أن هذا فضل رب العالمين على عباده أسرى المجاهدين.. وهو نقلة نوعية .. وأولى خطوات الإعداد الشرعي للأسير..

"(4) الأسير وطلب العلم"

من نعم الله العظيمة في السجن أن يكون معك في الغرفة طالب علم.. فيقود مسيرة الغرفة علمياً.. موجهاً ومرشداً ومعلماً.. ولكن هذا الأمر قد لا يتوفر دائماً..

أغلب الأسرى اتجه بعد حفظ كتاب الله إلى طلب العلم.. في الحائر القديم أقبل الإخوان على حفظ (الجمع بين الصحيحين والزوائد) ليحي اليحي.. وسلكوا طريقة (الحفظ بدون مراجعة).. وكانوا يتفاوتون في مقدار الحفظ اليومي.. بعضهم يحفظ (10) صفحات يوميا.. وهناك من بلغ بحفظه اليومي إلى (18) صفحة.. حيث يختمون المقرر في فترات .. حسب الحفظ اليومي.. من (شهرين) إلى (6) شهور.. فتكون هذه الختمة الأولى .. ثم يعيد الكرّة .. فيختم الثانية.. ثم الثالثة.. وهكذا.. حتى يصير متقنا حافظا لا يخرم منه شيئا..

هناك قسم آخر من الأسرى اتجه إلى حفظ المتون العلمية.. فسار على البرامج العلمية التي كانت تصلنا من بعض طلاب العلم المأسورين معنا.. أذكر أنه كانت هناك مطوية للشيخ ناصر الفهد (فك الله أسره) يتداولها الإخوان.. يشرح فيها منهجية طلب العلم والمتون الموصى بحفظها في كل فن من فنون العلم.. من أجل ذلك اقتنى أغلب الإخوان كتاب (الجامع للمتون العلمية) للشمراني.. وسمعت مسئول المكتبة في الحائر القديم ذات مرة يقول: أنه اشترى للإخوان (400) نسخة من كتاب (بلوغ المرام) لابن حجر.. تحقيق طارق عوض الله..

أكبَّ الإخوان على طلب العلم بنهم وشغف شديدين... والذي يكمل مرحلة الحفظ.. يبدأ في إقتناء شروحات المتون التي حفظها تمهيداً لدراستها .. والسعيد من كان معه في الغرفة طالب علم..

كان معي أخ عزيز في الغرفة.. في مقتبل العمر.. وكان حديث عهد بالسجن.. هذا الأخ فتح الله عليه في طلب العلم.. فبعد أن حفظ القرآن وأتقنه.. أقبل على المتون ..فحفظ أغلبها.. ولكنه تميز بشيء لم أجده عند غيره.. ألا وهو.. أنه حفظ (متن زاد المستقنع) كاملاً وبإتقان.. فقد كان يسمّع عندي ونحن نتمشى في التشميس.. ثم إنه اشترى ألفية ابن مالك ليحفظها.. وحفظ كتاب الجهاد كاملا من المنتقى.. أخبرني برغبته في حفظ (الجمع بين الصحيحين والزوائد).. فأهديته نسخة .. تركت الغرفة وقد قطع شوطاً طويلاً في حفظهما.. وفقه الله وسدد خطاه..

نعم إنه الخير الكثير من وراء الضر المرير... على جمر المحنة في السجون.. يصقل الأسير شخصيته روحياً.. وعلميا.. إن أمر المؤمن كله خير.. لمن أنار الله بصيرته.

"(5) الأسير والعبادة"

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) ﴾.[3] ... حسن العلاقة مع الله تعالى هو زاد الأسير الذي يقطع به رحلة السجن الشاقة.. وصلته بربه هي الواحة التي يتفيأ ظلالها في صحراء القهر والذل والعذاب.. يصبح ويمسي ولا همّ له غير ربه.. فلا تضيع أنفاسه في غير مرضاته.. ولا يفرّق همومه في غير محابّه.. يطلب الله بصدق.. فيجده.. وإذا وجده أغناه وجوده عن كل شيء.. نعم .. عن كل شيء.. كل ما فقده بالأسر يجده عند الله تعالى، "ابن آدم ..اطلبني تجدني.. فإن وجدتني وجدت كل شيء.. وإن فتّك فاتك كل شيء.. وأنا أحب إليك من كل شيء"..

في السجن.. رأيت نماذج تذكّر بالسلف الصالح في التعبد.. وعشت مع إخوان أحسبهم من العباد الزهاد.. ضربوا لنا أروع الأمثلة في العبادة والقربات.. عاشرت قلوباً طاهرة.. ووجوهاً مشرقة.. وألسناً لا تفتر من ذكر الله..

قيام الليل هو دأب غالب الأسرى.. لاتكاد تجد أسيراً يفرّط فيه.. كنت في إحدى الغرف في السجون الجديدة.. إذا كان ثلث االيل الأخير.. لا تجد مكاناً للتهجد .. فالمكان ضيق.. والجميع قائم يناجي ربه..

أما صيام النوافل.. فيتفاوتون فيه.. أدناهم من يحافظ على صيام الإثنين والخميس والأيام البيض.. ومنهم من يسرد الصوم فلا يفطر إلا يوم الجمعة.. وقابلت من هو

[3] الحجر

صائم طوال وجوده في السجن .. لا يفطر إلا أيام العيدين والتشريق.. أو في يوم زيارة أهله..

أما كتاب الله تعالى.. فهو أنيسهم وجنتهم.. فهذا يختم في عشرة أيام.. وذاك يختم في أسبوع.. وآخرون يختمون في خمسة أيام.. هو روضتهم يرتعون فيها حفظاً وتلاوةً وتدبراً آناء الليل وأطراف النهار..

أما رمضان ..فله شأن آخر... ينتظرونه بفارغ الصبر... فهو شهر العبادة حقاً.. أغلب الأسرى في الغرف يصلون التراويح جماعة.. ويختمون فيها القرآن.. وأذكر أن الغرفة التي كانت بجوارنا في الحائر القديم.. كانت تختم القران مرتين في قيام رمضان.. أما على المستوى الشخصي فلكل واحد منهم تهجده الخاص في رمضان.. كان معي أخ عزيز.. يختم القران في تهجده كل ثلاثة أيام.. يقرأ في الليلة الواحدة (10) أجزاء.. وعشت مع آخر في سجن شعار بعسير.. كان يبدأ تهجده في رمضان بعد صلاة المغرب مباشرة.. ثم يقطعه لصلاة العشاء والتراويح مع إخوانه .. ثم يرجع فيواصل تهجده إلى قرب أذان الفجر.. ثم يتوقف للسحور.. هكذا طوال شهر رمضان..

وللغرف في رمضان دويٌّ كدويّ النحل.. من تلاوة القرآن.. والمألوف عند الأسرى في رمضان .. ختمة كل (3) أيام..أحد الإخوان كان يختم كل يومين.. يقرأ في اليوم الواحد (15) جزءٍ... فيقرأ (3) أجزاء عقب كل صلاة فرض.. وأعرف شخصيا من كان يختم القرآن يومياً في رمضان.. بل هناك من ختم القرآن في إحدى رمضانات السجن (33) ختمة... اللهم تقبل منهم.. وفك أسرهم..

"(6) الأسير والضغوط"

يسعى القائمون على إدارة السجون لتدمير الأخ الأسير نفسياً.. وتحطيم معنوياته.. وشلّ قدرته على الصمود.. والقضاء على إرادته.. حتى تنهار قواه الذاتية.. فيخرج من الأسر.. مسخاً مشوّهاً.. فاقداً للهوية.. منحرفاً عن منهجه.. متنازلاً عن مبادئه.. فلا يسلك هذا الطريق مرة أخرى..

ذات مرة قلت للطبيب النفسي في سجن شعار بعسير: أنتم تتعاملون مع نماذج سعادتهم في الابتلاء..كلما ازدادت عليهم الضغوط لم ينهاروا.. بل فرحوا واستبشروا بأن الله تعالى يحبهم. فهم يوقنون أنّ الله إذا أحب عبداً ابتلاه.. وأشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .. امتقع وجه الطبيب وأسقط في يده..كان من أخبث مَنْ رأيت..

في الحائر القديم.. كانت لنا بعض المطالب من إدارة السجن.. فجاء إلينا رئيس شعبة النزلاء بخصوصها.. وبعد نقاش طويل.. قال لنا في صراحة غير معهودة.. إن من رسالة السجن أن تشعر أنك سجين.. وهو يقصد أنه لو تم تلبية كل طلباتك لما كان السجن سجناً.. بل يجب أن تعيش المعاناة.. وأن تُمارس عليك الضغوط...

أغلب ضباط السجون درسوا (علم نفس) ضمن الدورات التي تلقوها.. لذلك يتم استخدام أساليب نفسية.. ووسائل سيكولوجية معينة.. للضغط أو السيطرة على الأسرى.. على سبيل المثال.. قال لنا أحد الضباط.. عندما نرى سقف الطلبات ارتفع عند السجناء.. وصاروا يطالبون بأشياء كبيرة.. مثل فتح الغرف..أو تعديل

بعض أنظمة السجن.. نقوم فوراً بمنع بعض المشتروات في البقالة.. كالصابون مثلاً.. مباشرة يهبط سقف طلبات السجناء من فتح الغرف إلى السماح بشراء الصابون.. وهكذا.. وللعلم الصابون الحجر ممنوع في سجن شعار بعسير حتى مغادرتي إياه...

السجن عبارة عن ضغوط.. في كل شيء.. ابتداءً من الاسم.. فأنت عبارة عن رقم عشري.. الاتصال.. الزيارة.. الإعاشة.. الماء الحار.. التشميس.. المستشفى.. مداهمات التفتيش.. الزنازين.. التحقيقات.. التنقل بين الغرف.. طلباتك الخاصة.. التعامل مع العسكر.. القيد.. الكلبشة.. الغمامة.. كل ما حولك هو نوع من أنواع الضغوط..

(إصنع من الليمون الحامض شراباً حلواً لذيذاً).. هذا كان شعارنا في السجن.. عدم الاستسلام لتلك الضغوط.. ومواجهتها.. وتطويعها بتقنية بسيطة جداً وهي (التحكم في التفكير).. فمن المعروف أن الشعور بالحزن والأسى االذي تسببه الضغوط ينتج عن التفكير.. فإذا قمت بتغيير اتجاهات تفكيرك عن الضغوط.. سيتغير بلا شك الشعور المتولّد عن التفكير.. لأن الشعور هو وليد التفكير... وهذه تقنية ميسورة جداً للمجاهد الأسير.. وهي التي ذكرتها للطبيب النفسي.. فيتعامل مع الضغوط على أنها إبتلاءات..ويستحضر في تفكيره .. ثواب البلاء ..وحلاوة الأجر.. وعاقبة الصبر.. ومحبة الله.. فينتقل من الشعور بالحزن أو الألم.. إلى الشعور بالفرح.. واللذة.. والسعادة..

أبدع الإخوان في غرفهم في ابتكار برامج جميلة للترفيه عن أنفسهم..كان لنا في الحائر القديم.. جلسة أسبوعية.. ليلة الخميس.. سواليف.. وأناشيد.. وفوائد.. ومسابقات ثقافية.. هذا فضلا عن الإبداعات الأخرى.. في ترتيب الغرف.. وفي الطبخ.. وفي برامج العيدين..

الأسير يحرص دائماً أن تكون معنوياته عالية بعلو السماء.. وأن تكون إرادته صلبة كالصخر .. تتحطم عليها مؤامراتهم.. رحم الله أسيراً أراهم من نفسه قوة وصموداً...

"الأسير والبرنامج (7)"

في السجن يضع الأسير لنفسه جملة أهداف واقعية.. يسعى بطموح لتحقيقها خلال فترة وجوده في الأسر... ثم يضع البرنامج المناسب لذلك.. مستفيداً من وقت الفراغ الطويل المتوفر في الأسر.. ضياع الوقت وعدم إستغلاله هو المهلكة.. والداء العُضال...

على رأس البرنامج يتربع (الجانب التعبدي).. فيحرص على أداء الصلاة الخاشعة.. التي يُقبل فيها على ربه بقلبه وروحه وجوارحه.. ويحاسب نفسه دوماً على التقصير في الخشوع... إن للصلاة الخاشعة تأثيرا عجيبا في طمأنينة النفس وسكينتها.. وهما عين ما يحتاجه الأسير... ويحرص كذلك على النوافل والتطوعات عموماً.. قيام الليل.. والتضرع إلى الله والإستغفار بالأسحار.. وملازمة الذكر.. وقراءة القرآن بوردٍ يومي.. وصيام النافلة..

ثم يأتي (الجانب العلمي).. فيسير وفق منهجية معينة ... يبدأ بحفظ القرآن.. ثم يتجه إلى حفظ المتون التي أوصى بها أهل العلم.. ثم بعد ذلك يجتهد في دراسة شروحاتها...

ثم تأتي (القراءة الحرة).. في أنواع المعارف.. لتوسيع مداركه.. وزيادة حصيلته الثقافية.. وقد عرفت في السجن إخواناً لا يفارق الكتاب أيديهم.. وبعضهم جعل لنفسه مقداراً يومياً (100) صفحة كحد أدنى.. وأعرف من ختم (مجموع الفتاوى لابن تيمية في أقل من سنة..

وأخيراً يأتي (الجانب الرياضي).. فمع طول السجن يترهل الجسم وترتخي العضلات.. فيتدارك الأسير ذلك بممارسة التمارين الرياضية وفق جدول مدروس وبانتظام..

أصحاب البرامج في السجن.. هم في نعيم دائم.. قد أشغلتهم برامجهم عن مشاكل السجن وهمومه.. وقطعت عليهم حتى التفكير في الخروج.. هم في سعادة وراحة بال.. يعرف ذلك من عاش التجربة وذاق حلاوتها...

"(8) الأسير والسحر"

في زنزانتي الإنفرادية في الحائر الجديد..كنت مستلقياً على فراشي.. مستمتعا بهدوء المكان .. بعد عناء يوم طويل من إزعاج العسكر.. بدأ النعاس يتسلل إلى جسدي.. حان وقت النوم.. الساعة تقترب من الثانية عشر ليلاً.. باب الزنزانة المجاورة يُفتح ثم يُغلق.. يبدوا أنهم أدخلوا أحداً فيها.. لقد كانت خالية في الأيام الماضية.. بدأت بقراءة أذكار النوم.. ولكن فجأة.. سمعت صوتاً يناديني.. يبدو أنه الجار الجديد..

إتجهت ناحية الصوت.. الوقت مناسب للحديث.. فرقة العسكر الجديدة استلمت.. وأخذوا (التكميل) أعداد السجناء.. أسمع أصواتهم وهم يتضاحكون.. هذا يعني أنهم خارج غرفة التحكم (السداسية).. اللهم اكفني الكاميرا والسمّاعة.. منذ فترة طويلة لم أتحدث إلى أحد من الإخوان.. توكلنا على الله..

السلام عليكم..من معي؟ ..كان في مقتبل العمر لم يتجاوز عامه الثاني والعشرين... دافئ الصوت..حنون الأنفاس.. هاديء العبارات.. نشأت بيني وبينه ألفة عجيبة..كنت أتحدث إليه يومياً.. أذانه حزين.. في صوته بحّة تشدّك إليه.. حديث عهد بالسجن. أُعتقل شقيقاه معه .. قضيته من العيار الثقيل (حزام ناسف)..

طلبه المحقق ليسأله عن (مقاطع) في جواله.. أخذوه من جماعي الحائر الجديد إلى سجن المديرية.. مكث هناك أسبوعين في زنزانة.. على البلاط.. لا فراش.. لا بطانية.. بالسروال والفانلة.. بدون ثوب.. في شتاءٍ قارس.. شغلوا المكيف.. وضعوا الكلبشات في يديه.. والقيود في رجليه.. يتوضأ.. يصلي.. ينام.. يأكل .. بهذه الوضعية.. بعد أسبوعين.. أرجعوه.. ليس إلى مكانه في الجماعي.. بل إلى الانفرادي..كان يقول لي باستمرار.. لا تنسَ إخواننا في المديرية من الدعاء.. إنهم يُسامون أشدّ العذاب..

روى لي قصة غريبة..قال: وأنا في زنزانة المديرية..تحدثت معي..(جنية) .. نعم (جنية)..قالت..(ربك ما ينفعك..ما ينفعك إلا أنا).. والعياذ بالله..كان يشكو من كثرة الوساوس والهواجيس.. أوصيته ببعض الأمور..منها المحافظة على أذكار الصباح والمساء.. وقراءة آية الكرسي والمعوذتين دبر كل صلاة.. وقراءة سورة البقرة كاملة يومياً.. فإن أخذها بركة.. وتركها حسرة..ولا يستطيعها البَطَلة أي (السحرة)...

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [4]..مهما كان كيد المحققين في استعمالهم السحر ضد الإخوان.. فهو كيد ضعيف.. لا يلبث أن يزول ويتلاشى أمام كلام رب العالمين.. والسحر في الأسر حقيقة ملموسة .. عانى منها بعض الأسرى.. ثم أنعم الله عليهم بالشفاء..

[4] النساء 76

"(9) الأسير والتواصل"

قامت السجون الأمنية على نظرية (العزل)... أي عزل الأسرى عن بعضهم البعض.. ومنع أي وسيلة للتواصل فيما بينهم..لا لقاءات.. لا زيارات.. لا أحاديث متبادلة.. حتى إلقاء السلام ممنوع.. كل ذلك من أجل تسهيل السيطرة على الأسرى.. وزيادة الضغط النفسي عليهم.. والحيلولة دون إستفادة الأسرى من بعضهم البعض..

(العزل) نوعان... (عزل إنفرادي).. في غرفة مساحة الواحدة منها (2.5×3م).. يوضع فيها من يشكل خطورة فكرية على باقي الأسرى –حسب زعمهم– وأغلب المشائخ يعانون هذا النوع من العزل منذ سنين.. وقد عُزلت شخصياً مرتين.. الأولى في سجن ذهبان.. لمدة سنة وخمسة أشهر.. والأخرى في سجن شعار بعسير لمدة سنة كاملة.. النوع الآخر من أنواع العزل هو (عزل جماعي).. فإن هذه الغرف التي يسمونها (جماعي) هي في حقيقتها زنازين ولكن بحجم أكبر.. (6×5م).. يوضع فيها مجموعة من الأسرى.. ويتم منعهم من التواصل مع بقية الغرف.. ويتعرضون لأشد أنواع العقاب عند المخالفة.. يمكث الأسرى في غرفهم طوال الوقت.. بالشهور والسنين.. يخرجون للتشميس مرتين في الأسبوع.. لمدة ربع ساعة .. قد تزيد أو تنقص حسب مزاج العسكري.. عدا ذلك .. يمنع الخروج إلا لأمر هام.. زيارة عائلية أو عيادة.. أو تحقيق.. ونحو ذلك.. لهذا على مدخل جناح (3) في الحائر القديم وهو المعروف أنه جناح الجماعي.. مكتوب باللغتين العربية والإنجليزية (الزنزانة الشرقية التي تسع لعشرة أشخاص)..

سعينا جاهدين.. متوكلين على الله تعالى لكسر هذا الحصار المفروض علينا.. وإزالة حواجز العزلة المضروبة حولنا.. وهدانا الله تعالى برحمته وكرمه.. لابتكار وسائل وطرق للتواصل فيما بيننا... نظام السجن نظام أمني صارم.. ولكنه في النهاية جهد بشري.. فيه ثغرات ونقاط ضعف.. إستطعنا في الحائر القديم بفضل الله إنشاء شبكة للتواصل بالرسائل.. طبعا الأقلام ممنوعة.. ويتم تهريبها من الخارج.. أما الأوراق.. فكنا نكتب على كل شيء قابل للكتابة.. من خلال هذه الشبكة كنا نتواصل داخل الجناح الواحد..ثم تم تطويرها للتواصل مع الأجنحة الأخرى.. بل إننا نجحنا–بفضل الله–في فترة من الفترات في التواصل مع الإخوان المحبوسين في سجن النساء.. والذي عاش في الحائر القديم يعرف كم هو بعيد سجن النساء عن الأجنحة المركزية...

إستدعاني ذات مرة رئيس شعبة النزلاء في الحائر القديم.. قال لي: غرفتكم معروفة لدى ضباط الأجنحة والرقباء والعسكر أنها غرفة البريد !!.. كانت شبكتنا أحياناً تُكتشف.. فيتم تفعيل الشبكة البديلة.. وأحياناً.. تكون الضربة قاصمة.. لا تبقي ولا تذر.. فنبدأ من الصفر.. بهدوء ونَفَس طويل.. في إنشاء الشبكة من جديد.. كأن شيئاً لم يكن..

تبادلنا الرسائل.. والقصائد.. والطرائف.. والهدايا.. واختراعات السجناء..كانت الأخبار والمستجدات تُنقل أولاً بأول.. كان بيننا.. طلاب علم.. وأدباء.. وشعراء.. وأصحاب تجارب..وأهل خبرات.. تعرفنا على كثير من الأحباب دون أن نراهم.. ونشأت بيننا علاقات أخوية راسخة متينة... ظهر ما عُرف بأدب

السجون.. كانت الرسائل منظومات بديعة.. من الأدب الراقي.. والعبارات العذبة.. والكلام الرائع.. الجميل الموزون.. كُتبت بماء القلب.. قبل أن تُكتب بحبر اليراع.. حملت في طياتها.. مشاعر جياشة.. وأشواق حارة.. وأحاسيس صادقة.. كثير من الإخوان قام بتهريب رسائله إلى خارج السجن.. ليحفظها في صندوق الذكريات..

"(10) مع المحقق"

أنا الآن على أعتاب (السنة الثانية عشرة) لدخولي السجن.. تقدمت بطلب لمقابلة المحقق..للإستفسار عن وضعي.. بعد أسبوعين.. إستدعاني المحقق.. اقتادني العسكري من زنزانتي في الحائر الجديد.. إلى الحائر القديم.. معصوب العينين.. مُكلبش اليدين.. خلال دقائق معدودة وصلنا بالسيارة (الفان) مبنى الحائر القديم.. كانت المسافة بينهما قريبة.. على مدخل الحائر القديم.. وكنت قد غادرته منذ ستّ سنين.. هاجت المشاعر.. وانداحت الذكريات .. هنا كان الأحبة.. غبت مع أشواقي الدفينة.. رُحتُ أقلب دفاتري القديمة.. لم أنتبه إلا على صوت العسكري يطلب مني صعود الدرج..نبهته إلى وجود مصعد صغير.. إستغرب الأمر..كان جديداً في العمل...

المكان موحش.. الطرقات كئيبة.. الإضاءة صفراء باهتة .. دخلت غرفة التحقيق.. نفس الأساليب القديمة البالية.. يستدعيك المحقق منتصف الليل.. ويجعلك تنتظر ساعة أو ساعتين.. المحقق المسئول عن قضيتي هلك قبل سنوات.. الإنتظار مملّ.. ولكن قد تعوّدنا عليه.. بضع آيات تقرؤها تنزل عليك السكينة..

أخيراً ظهر المحقق.. تأخرت عليك؟! ..لا.. أبداً.. خذ راحتك..!! سألته عن وضعي.. تحدث كثيراً.. هرف بما يعرف وبما لا يعرف.. خطرت لي فكرة وهو يتكلم.. أطلب منه مقابلة أخي (فلان) معي في القضية لم أره منذ سنوات.. أجرّب .. لعلّ وعسى.. نظر إليّ مستنكراً طلبي.. ثم قال: لا زلت في ضلالك القديم.. ضحكت في أعماق نفسي من جوابه...

كنا في بدايات إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام.. عاد المحقق إلى الثرثرة من جديد.. منتشياً بعد أن رفض طلبي.. قال لي: هؤلاء الشباب–يقصد الأسرى– الذين جاؤوا بعدكم صغار سنّ.. لا يعرفون الأصول الثلاث ولا القواعد الأربع.. وأنا عندي ماجستير في الشريعة.. قلت له: إذا كان عندك ماجستير فالبغدادي عنده دكتوراه.. قال لي: من البغدادي؟! قلت: أما تعرف البغدادي..أمير (داعش)..؟! فاحتار وسكت... ثم استدعى العسكري.. وأمره بإرجاعي إلى الزنزانة.. قال وهو يوقّع على ورقة العسكري: يا عسكري هذا يكفّرنا ويكفّر العاملين في هذا الجهاز..

مرّت ثلاث سنوات على هذه المقابلة.. إلتقيت خلالها الكثير من هؤلاء الشباب الذين تحدث عنهم المحقق.. إنهم الجيل الجديد.. الحاملون جراح أمتهم.. الباذلون دماءهم في سبيل ربهم.. أحتقر نفسي بينهم.. أرمقهم إجلالاً وإكباراً.. فتنوا روحي شجاعة وإقداماً.. نفضوا عني غبار السنين حماسةً وتوهّجاً.. شباب في عمر الزهور.. أزهار رُبى بل آساد شرى .. صغار في السن.. كبار في الهمم.. قمم شامخة في الفداء والتضحية.. هم الأولياء الصالحون.. والمجاهدون المتقون.. أحسبهم كذلك.. ولا أزكي على الله أحداً...

"(11) الغرفة 116"

الذكريات هي صدى السنين الحاكي.. تظل تتردد في دواخلنا.. بعض الأمكنة لها رحيق.. يعبق في أعماقنا عبر الزمن.. الغرفة (116)..الجناح (3) .. السجن (الحائر القديم).. من أجمل الغرف التي عشت فيها.. مكثت فيها عدة سنوات.. أخرجتني منها إدارة السجن بحيلة ماكرة إلى (العزل).

أجمل سنوات السجن كانت فيها..أحلى الذكريات ..وأسعد اللحظات..هذه الغرفة قدمت (4)شهداء نحسبهم كذلك.. ضمن الثلة المباركة من أهل السنة المجاهدين الذين تم إعدامهم في السبت 22/3/1437 هجري.. تقبلهم الله.. وهم ناصر بن علي القحطاني (أبوسارة).. وأخوه فهد بن علي القحطاني (أبو علي).. ومعيض القحطاني (عبيدة).. وفكري علي فقيه (خلاد).. رحمهم الله..

كانت تربطني بأبي سارة علاقة أخوية خاصة جداً.. وبيني وبينه مودة من شذى الآخرة.. وأحمل له في قلبي محبة يعجز اليراع عن وصفها..كان توأم الروح.. وقرة العين.. وحبّة الفؤاد.. كان شقيقي بكل ماتحمله هذه الكلمة من معانٍ.. شهدت تلك الغرفة جلساتنا وأحاديثنا وأسمارنا.. فما أجمل ذاك الزمان.. وما أحلى تلك الأيام.. كان رحمه الله مثالاً للأخوة الحقة.. قمة في مكارم الأخلاق.. شهد العسكري الذي حضر إعدامه أنه خرجت منه رائحة المسك.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

أما أخوه (أبو علي)..فلم ترَ عيناي مثله في التعبد والانقطاع إلى الله والإقبال عليه.. العابد الزاهد.. التقي النقيّ.. أحسبه كذلك.. كان مصحفاً يمشي على الأرض.. صواماً قواماً متبتلاً.. في عام 1430هجري.. رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت.. والناس صفوف للحساب.. ورأيت عائشة ﵂ تقول..يا (الله) تعال أمامنا حتى نراك.. فقال سبحانه وتعالى: نعم سآتي..ثم قال : قم يا (أبا علي) فصلِّ بالناس.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

أما (عبيدة).. وما أدراك ما عبيدة.. الأسد الهصور..الهيّن الليّن السهل مع إخوانه.. وديع معهم كالسحاب يسقي من يحب ومن لايحب... رجل المهمات الصعبة.. صاحب بذل وتضحية في سبيل الله.. قدّم الكثير للعمل الجهادي في بلاد الحرمين.. وتحمّل صعوبات التأسيس في صبر وجَلَد.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

وأما (خلاد).. فهو فاكهة الغرفة وريحانتها.. من قدامى المجاهدين.. ومن أبطال مداهمة شقق (الروشن) عام 1423 هجري .. حلو المعشر.. ليّن العريكة.. حسن الخلق.. رآه أحد الإخوان بعد مقتله.. فقال له (خلاد): ما أحلى القتل في سبيل الله...رحمه الله وتقبله في الشهداء...

فَدَت نفسي وما ملكت يميني..

فوارسَ صَدَقت فيهم ظنوني..

فوارس لا يهابون المنايا..

إذا دارت رحى الحرب الزبونِ..

"(12) الأسير والأخوة"

الأخوة في الله روْح وريحان .. يعرف معناها منْ ذاق طعمها .. وجرّب حلاوتها .. وفي السجن تتجلى معاني المحبة في أرقى صورها .. لتعبّر عن صدق الأخوة .. وحقيقة الألفة .. وعمق الإخاء .. وديمومة المودة .. سطّر الأسرى صحائف من نور ..كتبوها بمداد مشاعرهم .. سجلوا فيها .. أروع وأجمل قصص الإخاء .. إجتمعوا على الحب في الله .. وتآلفت قلوبهم على طاعة الله .. كتلة متراصة متآخية .. ذلول بعضها لبعض .. محب بعضها لبعض .. متآلف بعضها مع بعض.

في غرف الأسرى .. تجد التنافس الشديد بين الإخوان على (الخدمة) .. غسل الأطباق .. تنظيف الغرفة .. غسل دورات المياه .. إستلام الوجبات .. مسح السفرة .. وغير ذلك الكثير .. يتسابقون في خدمة بعضهم البعض .. يرحمون صغيرهم .. ويوقرون كبيرهم..

كان معنا (أخ) فاضل من خيار الإخوان .. وكان (ضريراً) .. فقد بصره في معارك العراق .. أيام الزرقاوي رحمه الله .. كان أحرصنا على الخدمة .. أنار الله (بصيرته) .. هو الذي يستلم الوجبات .. ويغسل دورات المياه .. وكنا معه في (شد وجذب) بسبب ذلك .. ولكنه يرفض إلا أن يخدم إخوانه رغم ما يعانيه من فقدان البصر .. ما أطيبه وأرقّه وألينه .. أما إذا حِمِيَ الوطيس مع (العسكر) .. لا تجده إلا أسداً هصوراً .. كان (العسكر) .. يخشونه و يهابونه .. يعرفون أنه إذا غضب لا يقوم لغضبه شئ...

جرت العادة في الغرفة .. بعد (الاتصال الأسبوعي) .. أن يتحلق الإخوان في حلقة كبيرة .. ثم يبدأ كل أخ بسرد أخبار أهله التي سمعها في الاتصال .. وأحوالهم .. وكافة شئونهم .. ينصت الجميع باهتمام ويتابعونه ويسألونه ويطمئنون على أهله .. كنا (أسرة واحدة) .. نحفظ أسماء عوائلنا .. ونعرف دقائق أخبارهم .. نتناقش في مشاكلنا الخاصة .. نتشاور حولها .. ونضع لها الحلول..

نماذج ربانية .. وصور رائعة .. من التعاون والتآزر .. والتكافل والمواساة .. يتفقد الإخوان أحوال بعضهم البعض .. يقضون حاجة المضطر .. ويواسون الحزين .. ويتعاونون على نوائب الحق .. ففيهم الغريب .. والفقير .. وذو الحاجة .. يطمئنون عليهم .. ويطيبون خواطرهم .. ويقضون حوائجهم .. تذوب الفوارق .. وتتلاشى الهموم الفردية .. همّنا واحد .. ومصيرنا مشترك .. قمة التكافل المادي .. والشعوري .. وأرقى صور الإيثار والتجرد..

(أخ إيرلندي) .. مشلول يستخدم يداً واحدة فقط .. عشت معه في غرفة واحدة فترة من الزمن .. كان يقوم على خدمته .. أحد الإخوان .. يعتني بجميع أموره .. ويخدمه كما تخدم الأم وليدها .. في مشربه ومأكله .. ونظافته وقضاء حاجته .. برحابة صدر .. وطيب نفس .. وهمة عالية .. تعلمت منهم كيف يكون الإخاء .. والصبر .. والجَلَد .. ما أعظم تلك النفوس .. وما أكبرها .. إخوة أحبة كرام..

مكثت في بعض فترات السجن قرابة (خمسة أعوام) بدون زيارة .. لا أنسى تلك الليلة .. إستدعى المحقق أخي الشهيد ناصر بن علي القحطاني – رحمه الله– ليسأله عن بعض الأمور في قضيته .. وفي نهاية الجلسة .. أخبره بصدور قرار وزارة الداخلية

بالسماح لأهلي بزيارتي على حساب الوزارة .. عاد ناصر إلى الغرفة .. كانت الساعة حوالي العاشرة مساء .. وجدني نائماً .. بشّر ناصر الإخوان في الغرفة بخبر الزيارة .. ثم جلس بجواري وأنا نائم .. وظل هكذا طوال الليل ينتظر إستيقاظي .. حتى قمت قريب الفجر .. لأجده متهللاً فرِحاً .. يبشرني بخبر الزيارة .. فقد كان بيننا من الودّ ما الله به عليم .. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

ومن صور الوفاء التي لن أنساها .. (أخ سوداني) .. عاش معي في غرفة واحدة .. حرمه الطواغيت في السجن (9) سنوات من رؤية والديه وزوجته وأطفاله .. عندما أطلق سراحه .. وسافر إلى السودان .. إتجه مباشرة من المطار إلى منزلنا .. للسلام على والدي ووالدتي .. وذلك قبل أن يذهب إلى بيته .. وقبل أن يرى والديه .. بعد هذه السنين الطوال .. إنه وفاء الرجال..

هذا غيض من فيض .. وقطرة من بحر .. ولو إسترسلت في الكتابة لما وسعتها هذه السطور .. من ذا الذي يستطيع أن يعطي تلك الأسود الرابضة حقها .. أصحاب المبادئ والقيم .. الثابتين على عهودهم .. الواثقين بنصر ربهم .. رغم الظلام الحالك .. والضيق الشديد .. والكرب العظيم .. اللهم إنا نشهدك أننا نحبهم فيك .. اللهم فرج عنهم .. وفك أسرهم .. واجعل لهم من كل هم فرجاً .. ومن كل ضيق مخرجاً..

"خواطر متفائل"

(الأغلبية الصامتة المجاهدة)

السواد الأعظم..

هؤلاء الذين صمدوا صموداً تنوء به الراسيات..

من سيماهم..

حفظ اللسان..

سلامة الصدر..

العمل بصمت..

طاعة الأمير..

الحياء الجمّ والأدب الرفيع..

الحرص الشديد على البقاء داخل الجبهات..

النفور من جوّ الراحة والدعة..

الأغلبية الصامتة المجاهدة ..وهي تمارس عبادة القتال ..وتؤدي فريضة الجهاد ..في مسيرتها المباركة ..ورغم ماتعانيه من أهوال ومحن ..ورغم ما تكابده من صعاب ومشاق ..تسير وهي تتطلع إلى السماء ..تعلقت قلوبها بخالقها ..ورفرفت أرواحها

في الملأ الأعلى .. وحلّقت مع الطيور الخضر ..تسير بأشواقها المجنحة ..لا تبالي بمشقات الطريق .. تستحلي المحن ..وتستعذب العذاب.. يحدوها الأمل في الخلود الأبدي.. كلما حانت منها إلتفاتة الى الدنيا.. أو أرهقها طول المسير.. تذكرت أحبابها.. حبّات القلوب.. شهداءها السابقين.. فجدّت في المسير.. وشمّرت عن همة العمل.. عساها تلحق بهم.. فالموت كان أمنية.. إختار من صفوفنا.. أحبَّ مَنْ رأتْ عيوننا.. إختار من صفوفنا الكبار.. إختار من صفوفنا الرجال.. أحبة وصفوة كرام.. تحية لهم سلام..

"خواطر أفغاني"

...(ستُكتب شهادتهم ويُسألون)...

الجهاد الأفغاني..كان وسيظل مدرسة للأمة الإسلامية.. فهو أول ساحة يجتمع فيها مثل ذلك العدد لممارسة الفريضة الغائبة بعد عقود من تأصيل القعود عن الجهاد في سبيل الله .. عندما نقرأ (كتابات)الناس عن تلك الحقبة .. علينا استدعاء الظرف التاريخي .. ومحاكمة القضية ضمن ذلك السياق .. الفسيفساء التنظيمية .. حالة النضوج الفكري .. تجذّر المنهج الشرعي .. إستيعاب ماهيّة القضية .. الجماعات الإسلامية .. اللعبة الإقليمية والدولية ..الحرب الباردة .. وأخيرا .. تقاطع المصالح...

كانت (بيشاور) ..ساحة متحركة .. الجميع يعمل فيها ..الصادقون المخلصون .. على شتى إنتماءاتهم .. ولكنها أيضا كانت مرتعاً صالت وجالت فيه المخابرات العالمية .. هذه الساحة ستتكرر في أي مكان تُرفع فيه راية الجهاد .. السعيد من وُعظ بغيره .. وتعلم واستفاد من التجربة الأفغانية...

في النهاية .. ما يهمنا .. هو المآلات .. والنتائج .. العدو والمكر العالمي أراد أمراً بل أموراً.. ويأبى الله إلا أن يتم نوره .. فينداح الجهاد .. وينتشر المجاهدون في كل بقاع الأرض .. بفضل الله .. ثم ثبات الأغلبية الصامتة المجاهدة .. داخل أفغانستان .. التى كانت تنأى بنفسها .. عن (بيشاور) .. وصراعاتها .. ومؤامراتها .. ثلة صابرة محتسبة .. متوكلة على ربها واثقة بنصره .. منها خرجت قوافل

المجاهدين إلى مصر .. والجزائر .. وليبيا .. وطاجكستان .. والبوسنة .. والشيشان .. وارتريا .. وغيرها..

الأغلبية الصامتة المجاهدة ... تتعبد الله تعالى بالدليل .. تتقرب إليه بواجب الوقت .. وفريضة العصر .. الجهاد في سبيل الله .. دفاعاً عن المستضعفين .. واستنقاذاً لأسارى المسلمين .. وسعياً لإقامة دولة الاسلام التي تقيم شرع الله..

العالم أو الداعية أو الرمز .. يمرّ في حياته بمحطات .. مثله مثل أي شخص آخر .. تتشكل لديه خلال هذه المحطات قناعات ورؤى .. قد يغيّر ..أو يتراجع .. أو يراجِع .. نحن نرمق محطته الأخيرة .. التي يتوقف عندها .. وهناك نتعرف على قناعاته .. ونعرف صموده وثباته .. ولنتذكر قول (سيد) رحمه الله .. إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج..

الكثيرون كتبوا عن تجربة (الجهاد الأفغاني)..

لا أخشى مثل هذه (الكتابات) .. لعل من يقرؤها يخرج منها بفائدة .. أو يحصل عنده وعي من نوع خاص .. أما (الكاتب) .. فهي شهادته .. سيُسأل عنها يوم القيامة .. أيها المجاهدون..

أيتها الأغلبية الصامتة ..

سيروا على بركة الله..

"خواطر حزين"

... مصاحبة (الرمز) ...

يظل (الرمز) نجماً في سمائنا .. مصباح هدى .. ونور دجى ..وقبلة يُهتدى به .. تتطلع إليه الأفئدة .. وتشرئبّ إليه الأعناق .. يشعّ في قلوبنا هالة من ضياء .. وشعلة من سَنا .. يذكّرنا مدرسة النبوة .. وعبق الصحابة .. وألَق السلف الصالح.

لكنّ الرحلة إلى (الرمز) .. محفوفة بالمخاطر .. والإقتراب منه سلاح ذو حدين .. ومصاحبته غير مأمونة النتائج .. والعيش في (حماه) مجهول العواقب .. ومن حام حول (الحمى) أوشك أن يرتع فيه..

كان الشيخ أسامة رحمه الله .. بحراً لا تكدّره الدّلاء .. مَعِيناً لا ينضب .. وعَيْناً لا تغور .. غديراً ينساب علماً و أدباً .. كلما اقتربتَ منه زاد حبك له .. وكلما عاشرته نما إعجابك به .. لا تملّ مجالسته .. ولا يروي ظمأك طولُ البقاء معه .. كلما غادرتَه إشتقت إليه .. تحنّ إليه حنين الوالِهِ المشتاق..

عشتُ معه في حلّه وترحاله .. وكنت معه في صحْوه ومنامه .. نمنا في خندق واحد .. وأكلنا على سفرة واحدة .. وسافرنا في رحلة واحدة .. كان رحمه الله .. نسيج وحده .. لا ترى منه قطّ ما يشين الرجولة .. أو يخرم المروءة .. في كل أفعاله وأقواله .. حتى في سواكه..

قمة الأدب .. وروعة الأخلاق .. وملاحة الرجال .. وعذوبة المنطق .. وحلاوة الإخاء .. وهيبة القائد .. كان رحمه الله .. مدرسة يُتعلّم منها .. وقدوة تُقتفى آثاره

.. تجسّد فيه هدي مُحَّد ﷺ .. القرب منه .. قربٌ من آثار السلف الصالح .. والعيش في كنفه .. عيشٌ في رياض مكارم الأخلاق .. لا ولن أوفّيه قدره .. لذلك كان بحق وحقيقة .. رمزاً وقدوة .. علماً يهتدي به السائرون .. ونجماً يستضيء به السالكون..

وعلى شطّ النهر الآخر .. يقف النقيض .. فالضدّ يظهر حسنه الضدّ .. (رمز) .. طار بذكره الركبان .. ملأ الكون خطابة وكتابة .. عظّمته النفوس .. وأجلّته القلوب .. وبوّأته مقام (القدوة) .. وصار لديها من (الكبار) .. تقترب منه .. تعيش في كنفه .. تختلط به .. فتجد فيه .. (أخلاق الصغار) .. و (اهتمامات الصغار) .. و (أفعال الصغار) .. عندها .. تهتز لديك صورة (الكبير) .. وتتلاشى هالة (القدوة) .. ويذوب احترام (الرمز) ..

تُصاب بالصدمة .. وتشلّك المفاجأة .. وتعلوك الدهشة .. البوْن شاسع .. بين القول والفعل .. تغالب نفسك .. تضغط على أعصابك .. تحاول جاهداً .. أن تقرأ أو تسمع له .. إنه الفصام النكد .. (تصرفاته الصغار) .. تلقي بظلالها عليك .. لم يَعُد لكلامه ذلكم السحر الأخّاذ .. ولا التأثير الجذّاب .. لقد خَبَا وَهَجُ (الفرْقد)..

سبحان الله الخالق الباريء .. كما قسّم الأرزاق فقد قسّم الأخلاق .. قال بعض السلف .. (ما أسرّ عبد سريرة .. إلا أظهرها الله على صفحات وجهه .. وفلتات لسانه)..

أيها (الرمز) .. هل تعود .. أم أنّ الطبع يغلب التطبّع .. عندما يقترب منك الناس .. يسبرون غوْرك .. وإذا صدمتهم الحقيقة المرّة .. مرارة العلقم .. يغادرونك .. وعندما تغادرهم .. لن يبكي عليك أحد..

كتبه / أبوحذيفة السوداني...

" خواطر شجِيّ"

في مدينة (ميران شاه) الباكستانية .. الحدودية .. ونحن نستعد للدخول إلى الجبهة .. وكنا وقتها صغاراً في السنّ .. التقينا الشيخ عبدالله عزام رحمه الله.. في (المضافة) .. فرحنا به فرحاً عظيماً.. فقد كان لنا بمثابة (الوالد) .. ونِعْمَ (الوالد) هو .. تحلّقنا حوله .. وكان بين يديه .. رسالة (أفراح الروح) .. لسيّد رحمه الله .. وعلى غلافها كان رحمه الله يسجّل سيرة أحد الشهداء .. لينشرها فيما بعد في مجلة (الجهاد).. كما هي عادته .. حدثنا رحمه الله .. عن الرسالة .. وعن مناسبته.. ثم سألَنَا بحنان الأب.. لما رأى صغر سنّنا .. هل اشتقتم إلى آبائكم وأمهاتكم ؟

فقلنا .. نعم..

فقال.. لو أن أحدكم أراد أن يرجع إلى أهله .. كم يقضي من الزمن حتى يصل إلى داره ؟..

قلنا.. يحتاج عدة أيام.. وربما يستغرق أسبوعاً ..

فقال رحمه الله .. أنتم الآن تتأهبون للدخول إلى الجبهة .. احرصوا على الشهادة .. فمن يُقتل منكم تمرّ عليه الحياة الدنيا..كصلاة ظهر .. أو كصلاة عصر.. فيرى أهله.. أسرع مما لو رجع من هذا المكان..

رحمك الله يا شيخ الجهاد .. نِعْم المربّي كنت.. تعيش معه.. فيزرع فيك.. حب الجهاد .. ويغرس فيك .. عشق الشهادة .. حريّ بكل مَنْ أراد الثبات على

هذا الطريق.. أن ينهل من كتبه وخطبه .. فقد كان بحق .. فارس الجهاد.. وأسده الهزبر.. وطوْده الشامخ..

أجد الملامة في هواكَ لذيذةً حباً لذكركَ فَلْيَلُمْني في هواكَ اللُّوَّمُ...

" خواطر غريب "

....(ليوث الحق)....

هذا السواد الأعظم من المجاهدين..

هؤلاء الفتية.. الذين حملوا أرواحهم على أكفّهم.. الغرباء.. الأطهار.. المنتشرون في الجبهات.. قتالاً ورباطاً.. صامتة ألسنتهم عن كل باطل.. تركوا القيل والقال.. والخوض في الخلافات.. لزموا غرزهم.. واستمسكوا بميراث نبيهم.. صلى الله عليه وسلم.. الأغلبية الصامتة المجاهدة.. الأتقياء.. الأنقياء.. الأخفياء..

غامضون في الناس فلا يشار إليهم بالأصابع.. طاهرون في ألسنتهم فلا يغتابون عباد الله.. أفئدتهم كالطير... رقة ورحمة للمؤمنين.. تعلوهم مهابة.. وتكسوهم عذوبة وملاحة.. أحسنوا عبادة ربهم في السرّ.. أطاعوا أمراءهم بالمعروف.. ياسروا الشريك.. وأنفقوا الكريمة.. واجتنبوا الفساد.. غضيضة عن الشر أعينهم.. بطيئة إلى الباطل أرجلهم.. منحنية على أجزاء القرآن أصلابهم.. أسهروا ليلهم حراسة لله وتهجدا.. وقضوا نهارهم خدمة وصياما.. هم السواد الأعظم في هذا الركب ..خافوا فأدلجوا..

قد لاحت منازلهم.. فجدّوا لها المسير.. إذا شَكَت من كلال السير أوعدها .. روح القدوم فتحيا عند ميعاد.. النزّاع من القبائل.. والجماعات.. والتنظيمات.. مصابيح الدجى.. وأنوار الهدى.. إذا حضروا لم يؤبه لهم.. وإذا غابوا لم يفتقدوا

.. لا يشار إليهم بالبنان.. قلّت مواريثهم.. قلّت بواكيهم.. إنما تُنصرون وتُرزقون بضعفائكم.. بإخلاصهم.. وصلاتهم.. ودعائهم..

"خواطر قاعد"

في الكتاب والسنة .. نصوص كثيرة .. تحث على الجهاد .. وترغّب فيه .. وتحضّ عليه.. كل نصّ منها كافٍ لوحده.. أن يجعل أصحاب القلوب الحيّة .. تطير إلى أرض النزال .. تبتغي الموت مظانّه .. قال ﷺ .. (والذي نفس مُحمّد بيده ، لولا أن يشُقَّ على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله أبدا).. إلى أن قال.. (والذي نفس مُحَمَّد بيده ، لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأُقتل ، ثم أغزوَ فأُقتل ، ثم أغزوَ فأُقتل) ..

بين يدَيْ هذا الحديث .. تقف طويلاً .. متأملاً .. متفكراً .. متدبراً .. مستلهماً الدروس والعِبَر .. فهل بعد ذلك يطيب القعود عن مواطن الجهاد ؟ ..هل بعد ذلك نرضى بالحياة الدنيا من الآخرة ؟..هل بعد ذلك نرضى أن نكون مع الخوالف؟ ..

أما نخشى أن نكون ممن كره الله انبعاثهم.. فثبّطهم.. وقيل اقعدوا مع القاعدين.. إنّ أشد العقوبات الإلهية عدم التوفيق للطاعات .. جاء رجل إلى الحسن البصري يسأله.. يا أبا سعيد .. أعياني قيام الليل .. فما أطيقه .. فقال: يا ابن أخي.. استغفر الله وتبْ إليه.. فإنها علامة سوء..وكان يقول: إن الرجل ليذنب الذنب فيُحرم به قيام الليل.

فإذا كان الحرمان من نافلة ليست واجبة بسبب ذنب .. فما هو الذنب.. الذي يسبِّب الحرمان.. من فريضة الجهاد ؟..

" خواطر كويتي"

في حياة كل واحد منا .. رفقة صالحة .. وثلة مباركة.. هم حبّات القلوب.. إصطفاهم إخوة له .. يسيرون معه على هذا الطريق .. يشاركونه الألم والأمل .. في قافلة الجهاد.. منهم منْ قضى نحبه .. ومنهم من ينتظر.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ما بدّلوا .. وما غيّروا.. ولا هانوا .. ولا استكانوا .. إتخذ الله منهم شهداء .. يكفي .. أن يمرّ طيف أحدهم بالخاطر .. فينتفض القلب ..شوقاً و حنينا .. يتذكر الماضي الجميل .. وزمان الصحبة .. ولقاءات الألفة .. ويرتعد القلب .. فزعاً و خوفا .. أن يتثاقل إلى الأرض .. فيترك درب الجهاد .. من هؤلاء الأخيار الأطهار.. أخي وقرة عيني .. أبو أحمد الكويتي .. الذي قُتل مع الشيخ أسامة في (أبوت أباد).. وعُرف في الإعلام .. بمراسل بن لادن .. كانت تربطني به علاقة خاصة .. وبيننا مودة وحب عظيم .. دخلت السجن .. فانقطعت أخباره .. وظللت عشر سنوات .. أسأل عنه كل غادٍ و رائح .. فلا أجد ما يشفي الغليل .. حتى ظهر اسمه في الإعلام أيام مقتل الشيخ..

وقتها كنت في سجن المديرية بالرياض .. لإعادة محاكمتنا .. وبعدها بشهر نقلنا إلى سجن (ذهبان) بجدة.. لإكمال المحاكمة..

وهناك .. في زنزانتي الإنفرادية .. رأيت أبا أحمد في المنام .. جالساً على كرسي .. في هيئة جميلة .. ولباس رائع .. يشرح الصدر .. وكنت جالساً بجواره على الأرض ..فسألته .. يا أبا أحمد .. أنت في الدنيا أم في الجنة ؟ .. فقال لي .. أنا في الجنة .. والآن جئتك من الجنة ..

رحمك الله يا أبا أحمد.. وتقبلك في الشهداء..

لقد لامني عند القبور على البكا   رفيقي لتذراف الدموع السوافك

فقال أتبكي كـــــــل قبر رأيته   لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت له إن الشجا يبعث الشجا   فدعني فهذا كلـــــــه قبر مالك

" خواطر مُحبّ"

... (أتباع الرسل)...

قال هرقل لأبي سفيان.. (أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم).. قال أبو سفيان.. (بل ضعفاؤهم).. قال هرقل.. (وهم أتباع الرسل)..

نعم.. الضعفاء ..هم أتباع الرسل .. ضعفاء الحيلة.. المتقللون من متاع هذه الدنيا .. المتقللون من الأموال والمناصب والوجاهة.. ليسوا أهل النعيم الذين غرتهم الحياة الدنيا.. جند الإسلام وقوته.. الصابرون.. المرابطون.. المحتسبون.. الشعث الغبر..

الضعفاء المستضعفون.. المدفوعون بالأبواب.. تنبو عنهم أعين الناس.. لا يُؤبَه لهم.. الغرباء.. تركوا الأهل والأوطان.. ومراتع الصبا والخلّان.. هم الأغلبية الصامتة.. المسدّدون لكل خير.. وهَبهم الله كل خُلق جميل.. السكينة لباسهم ..والبرّ شعارهم.. والتقوى ضمائرهم.. والحكمة منطقهم.. والصدق والوفاء طبيعتهم .. والعفو والمعروف خلقهم.. والحق شريعتهم.. والهدى إمامهم.. موحدون ..مؤمنون.. يُلهمون التسبيح والتحميد.. والثناء والتوحيد.. قرابينهم دماؤهم ..مصاحفهم في صدورهم..

رهبان بالليل.. ليوث بالنهار.. يقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا.. ويخرجون ابتغاء مرضاته ألوفا.. خرجوا من ديارهم في صمت.. ينصرون دين الله.. يبتغون الموت مظانّه.. هم السواد الأعظم.. والأغلبية الصامتة..

"خواطر محروم"

...(مع الشهيد قبل مقتله)...

لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها.. ساعة موتك لن تتقدم ولن تتأخر .. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا ﴾[5] ... قبل فتح غارديز وأثناء التحضير للعمليات .. حفرنا خنادق في الخط الأول.. أحد الخنادق يبعد عن العدو حوالي 1200م .. بعد الحفر ظهر في جدرانه الماء .. أردنا تركه..وحفر آخر بجواره.. تذكرت أن معنا في المركز الخلفي.. أخ جزائري مهندس جيولوجي .. يعرف باسم (ربعي) .. طلبت منه الحضور لمعاينة الموقع.. حضر واصطحبته إلى الخندق.. فلما عاينه قال لي .. لا تتعب نفسك .. هذا عرق ماء ممتد أينما تحفر هنا سيخرج الماء.. رجعنا بعدها إلى الخط الثاني .. ثم توضأ (ربعي) وصلى الضحى.. بعدها خرجت أنا وهو.. نمشي نتجاذب أطراف الحديث.. وكان عند العدو راجمة BM) .. (13 عيار(130) ملم..ذات (16) فوّهة.. فسمعنا صوت الإطلاق.. قال لي .. وهو بجانبي.. يبدو أن القذيفة قريبة .. قلت له .. لا .. بعيدة .. لم أكد أكمل الجملة حتى سقطت القذيفة بجوارنا .. أنا مباشرة إرتميت على الأرض منبطحاً.. أما هو فقد جثا على ركبتيه.. ثار الغبار حولنا ..وطارت فوقنا الشظايا .. عندها نهضت.. فوجدت أن إحدى الشظايا .. قد اخترقت الفك العلوي لربعي ..وخرجت من الجانب الآخر .. فقُتل مباشرة.. رحمه الله تعالى..

[5] آل عمران 145.

كان من خيار الاخوة.. دمث الاخلاق .. محبوب .. مثقف.. رأى قبلها في المنام .. جبريل عليه السلام يمشي في روضة خضراء.. ورأى نفسه يمشي خلف جبريل.. يضع جبريل رجله في الأرض .. فإذا رفعها.. وضع (ربعي) رجله مكانها..كان أول شهيد في غارديز.. دفناه قرب مصرعه.. وسمّينا المركز الأمامي حيث قُتل باسمه.. رحمه الله وتقبله في الشهداء..

"خواطر مشتاق"

...(الطوْد الشامخ)...

كان الشيخ عبدالله عزام رحمه الله.. واضحاً كالشمس.. يعطيك المعاني العظيمة.. في عبارات سهلة بسيطة.. كلماته تخرج من القلب.. فتلامس بصدقها.. شغاف القلوب.. فتهزها هزا.. تنفض عن الأجساد.. غبار الوهن.. وتصل الى الأرواح .. لتحلّق بها بعيدا.. فتنظر من عَلٍ.. لتعرف الحق.. في تلك الليله.. حضر الشيخ إلى معسكر التدريب في (صدى).. كانت المرة الأولى التي أراه فيها وجهاً لوجه.. إلتفّ الشباب حوله.. سلّم عليهم.. عانقهم وعانقوه.. كما يفعل الأب مع أبنائه.. في اليوم التالي.. كان عندنا درس فقهي بعد صلاة الظهر.. حدثنا الشيخ عن التيمم.. قال فيما أذكر.. المجاهد إذا لم يجد الصعيد الطاهر.. فإنه يتيمم على ملابسه.. ثم ضرب الشيخ بيديه على صدره.. فثار الغبار من بين ملابسه.. عندها لم أتمالك نفسي.. فصِحْتُ دون أن أشعر.. الله أكبر..

نعم.. صدق (ابن المبارك).. ريح العبير لكم.. ونحن عبيرنا.. رهج السنابك والغبار الأطيب.. كنت حديث عهد بالجهاد.. قادماً من بلاد الحرمين.. حيث أدهان العود ومجامر البخور.. وأصناف الروائح والعطور.. قلت محدثاً نفسي.. هذا مَنْ كنت أبحث عنه.. هذا هو العالم الرباني.. الذي يصدِّق قوله بفعاله.. كان رحمه الله يتنفس بالجهاد.. عاش لقضيته.. وقُتل من أجلها.. وبقيت كلماته نبراساً

للصادقين.. المجاهدين.. الأغلبية الصامتة.. السواد الأعظم.. يسيرون على هديها.. رحمك الله يا شيخ الجهاد والمجاهدين..

" خواطر مشفق "

في الطريق إلى الله ...يتساقط البعض ... كما أوراق الشجر في فصل الخريف ... في ساحات المعارك ... مجاهد يتقهقر ... يضع السلاح عن كاهليه ... يتثاقل إلى الأرض ... يخلد إلى الحياة الدنيا ... يبيع آخرته ... في غياهب السجون ... أسير ينهار ... يعترف على إخوانه ... تحرقه نار المحنة ... فيتخلف عن الركب ... ويغادر المسيرة ... إنه الضعف البشري ... الذي قد يصيب كل إنسان ... حيث يرى ما لا صبر له عليه ... بين سطور تساقطهم ... لوعة حارقة .. وفي ثنايا تعثّرهم ... ألم رهيب ...وفي دواخلهم ... إنكسار الذات ... واحتقار النفس ... وكراهية الفعل ... مهما خادعوا أنفسهم ... هم يتضاءلون أمامها ... إنهم يرمقوننا من بعيد ... قلوب وجِلَة ... وعيون زائغة ... وأيدٍ مرتعشة ... يبحثون في عيوننا ... عن نظرة ... فيها الرحمة ... يتأملون في وجوهنا عن ... عن طلاقةٍ ... فيها الإعذار ... يتحسسون أيدينا ... أن نمدّ لهم العون ...هم خلق الله ... لا يملك أحد ... أن يحول بينهم وبين خالقهم ... أو أن يمنعهم التوبة ... وفي الحديث...(لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم) ...نخذل الشيطان ... ونعين أخانا على التوبة ... الله تعالى يفرح بتوبة عباده ... ويحب التوابين ...

تجاوزك عن عثرة أخيك ... تجده ... في تجاوز الله عن عثرتك ... وفي الحديث ... (مَنْ أقال مسلماً أقَالَ الله عثرته) ... في سورة يوسف ... ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [6]

---

[6] يوسف 92.

"خواطر مكلوم"

ما رأت عيناي مثل الشيخ أسامة رحمه الله في حسن خلقه.. وسعة صدره.. وعظيم حلمه.. وعفة لسانه.. ما سمعته يوماً يذكر أخاً بسوء.. رغم وجود المخالفين له وقتها.. والطاعنين فيه..

ذات مرة كان معنا ضيوف على طعام الغداء من إحدى الجماعات الجهادية.. بعد الغداء.. قال لي الشيخ.. (فلان هذا تكلم فينا كثيرا).. ثم سكت الشيخ.. ولم يزد على هذه الكلمة.. فقد كان حريصاً على استيعاب إخوانه.. واستقطابهم للعمل معه.. لا يحمل ضغينة لأحد.. فهو رجل أمة.. وإنّ كبير القوم لا يعرف الحقد .. صاحبنا فلان هذا.. فيما بعد.. ترك جماعته .. وانضم للقاعدة وبايع الشيخ.. وغدا من رموز القاعدة التي يشار إليها بالبنان..

وكما كان الشيخ رجل أمة..كان أيضا رجل عامّة.. قريباً من الشباب.. متودداً لهم.. عارفاً بهم.. حين تراه جالساً معهم يتبادل معهم الأحاديث .. والطرائف.. والمواقف.. يعظم في عينك هذا الرجل.. بتواضعه .. وأدبه.. وخلقه الذي لا يُجارى..

ما كان رحمه الله يضيق بالنقد.. ولا يتبرم بالنصيحة.. كان حريصاً على معرفة الخلل.. باحثاً عن أنجع الحلول.. كتبت له ذات مرة ملاحظات على التنظيم في (40) صفحة.. وأسميتها (إتكاءة على حدّ السيف).. أُعجب بها جداً.. وجلسنا أياماً طويلة ..نتناقش حولها.. لم يغضب.. ولم ينفعل..كما يفعل المنتفخون

بذواتهم.. كان رحمه الله واثقاً بالله.. هادئاً في طبعه.. كثيراً ما يقول لي بلهجتنا (دايره صبر)..

كان يزعجه المدح.. أو الهتاف باسمه... فقد كان يربطنا بالقضية... وليس بشخصه.. ذات مرة.. وفي أحد الزواجات.. قام الشباب بترديد إحدى الأناشيد.. وعدلوا بعض كلمات النشيد.. وذكروا اسم الشيخ.. بعد أن أكمل الشباب نشيدهم.. تحدث الشيخ.. وبكل حنان وأدب.. نهاهم عن ذلك.. وطلب منهم أن لايعودوا لمثلها..

نعم.. واللهِ.. في الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ...

" خواطر مُودّع "

...(الرسالة الأخيرة) ...

أبو عاصم التبوكي (سعيد القحطاني) .. وهو في رحلة الخلود .. متجهاً إلى الشيشان .. منتصف التسعينيات .. كتب إليّ رسالته الأخيرة .. وختمها بالأبيات التالية ..

ولما برزنا لتوديعهم بَكَوْ دمعاً وبكينا عقيقا

أداروا علينا كؤوس الفراق فهيهات هيهات مِن هَوْلها أن نفيقا

تَوَلَّوْ فأتبعتهم دَمْعِيَ فصاحوا الغريقَ وصِحْتُ الحريقا

ولم تمض أشهر على هذه الرسالة .. حتى جاءنا نعيه .. رحمه الله وتقبله في الشهداء ..

شارك في الجهاد الأفغاني .. وكان في السابعة عشر من عمره .. أكرمه الله بالرباط والقتال .. شهِد فتح خوست وغارديز وكابل .. عاد بعدها إلى بلاد الحرمين .. أجبره إخوانه على العودة إلى الدراسة .. أكمل الثانوي ودخل الجامعة .. درس الهندسة في جامعة البترول والمعادن .. لكنّ نفسه الأبيّة التي ذاقت حلاوة الجهاد ..لم ترْض أن تكون مع الخوالف ..هجر مقعده في الجامعة ..ويمّم وجهه مهاجراً .. شطر بلاد الشيشان .. نحن مَنْ بكينا عليك .. يا (صقر تبوك) .. كما كنا نلقبه

.. وبكينا على أنفسنا من بعدك .. فوداعاً (أبا عاصم) .. وتقبلك الله في الشهداء ..

"خواطر مُتيّم"

... (مع الشهيد في قبره) ...

بعد فتح خوست .. توجه المجاهدون الأفغان إلى مدينة غارديز عاصمة ولاية بكتيا .. بقيادة الشيخ جلال الدين حقاني ومعهم أنصارهم من المجاهدين العرب في جبهة الشيخين .. يتقدمهم أميرهم أبو الحارث الأردني وقائدهم العسكري أبو معاذ الخوستي الفلسطيني ..

وهناك على قمة جبل (ساتيكاندو) نصب الأنصار العرب أول خيمة لهم .. على إرتفاع (3300 م) .. من تلك الخيمة .. وعلى ذلك الجبل الشاهق .. ومن سفوحه الممتدة التي تغطيها أشجار الصنوبر.. بدأت دوريات الإستطلاع .. وبدأ التخطيط لإنشاء المراكز المتقدمة .. والخطوط الخلفية .. ومرابض المدفعية .. ومراكز الترصد .. وشبكة الاتصالات .. والمستشفى الميداني .. ومواقع ال (م.ط) ..

كان من ضمن المجاهدين العرب .. مجموعة من شباب الجماعة الإسلامية المصرية .. ذهب ثلاثة منهم في مهمة إلى قرية (سيد كرم) شرق مدينة (غارديز) .. وهم (حذيفة وحمزة ونسيت اسم الأخ الثالث) .. في طريق عودتهم .. وقعوا في كمين غادر .. قُتل (حمزة وحذيفة) .. تقبلهما الله .. ونجى الثالث .. ذهب الأنصار العرب وأحضروا الجثتين .. تم دفنهم في المركز الخلفي .. فيما بعد أُضيف إليهم الشهيد القائد (أبو بنان الجزائري) تقبله الله .. أمير معسكر خلدن .. الذي تخرج

على يديه المئات من المجاهدين .. وكان من أبرزهم .. (إبن الشيخ) الليبي رحمه الله .. و(أبوزبيدة الفلسطيني) فك الله أسره ..

المقبرة الرئيسية كانت في الخط الأول .. حيث قُتل (ربعي بن عامر) الجزائري تقبله الله .. وإلى جواره يرقد أكثر من عشرين أخ من الأنصار العرب تقبلهم الله .. أما في المركز الخلفي .. فقد كانت هناك ثلاثة قبور فقط .. هي قبور أبي بنان الجزائري .. وحمزة المصري .. وحذيفة المصري .. تقبلهم الله .. هذا المركز هُجر فيما بعد وأصبح خالياً بسبب قلة المجاهدين ..

لاحظ أحد الأنصار العرب وجود (هدم) في أحد القبور .. و(هبوط حاد) في تربته .. فأخبر بذلك (أبا معاذ الخوستي) القائد العسكري .. إنتدب (أبومعاذ) شخصي الضعيف .. ومعي أربعة من الإخوة الأفاضل .. وهم .. أبومصعب الشمراني رحمه الله .. وحيدرة التبوكي رحمه الله .. وعبدالماجد المصري .. ومسعودي الجزائري .. وأمرنا أن نعاين القبر .. ونعالج الوضع بما هو مناسب ..

ذهبنا نحن (الخمسة) .. إلى مكان القبور الثلاث .. لم يكن القبر المنهدم هو قبر (أبي بنان الجزائري) .. فقد كنا نستطيع تمييز قبره .. هذا يعني أن صاحب القبر إما (حذيفة المصري) .. أو صاحبه (حمزة المصري) .. عزمنا على أن نحفر القبر .. وعلى ضوء ما نجد نقرر الحل المناسب .. بدأنا الحفر بهدوء .. وباستخدام (أدوات) الحفر .. وبعد عمق (1 م) .. توقفنا عن استخدام (الأدوات) .. وبدأنا نحفر يدوياً .. بهدوء وحذر .. وَجِلين مما هو قادم .. ومترقّبين لما سيحدث ..

كنت (أنا) أحفر من جهة الرأس .. قليلاً قليلا .. رويداً رويدا .. شيئاً فشيئا .. (الله أكبر) .. بدأت (الجثة) تظهر .. كان التراب والطين قد غطى كامل (الجثة) ..سبحان الله .. إنه هو .. نعم .. هو هو .. هذا (حمزة المصري) .. رحمه الله .. كأنه يوم دُفن .. يرقد في هدوء .. بوداعة وسكينة .. معذرة أيها البطل .. قد أزعجناك .. رحمة الله وبركاته عليك .. قمتُ بمسح التراب والطين عن وجهه .. شعره .. لحيته .. حرّكت أطراف أصابع يده .. لينة طريّة .. أظافره طويلة .. كما هو .. بنطاله العسكري الأخضر .. وقميصه الأفغاني .. بقع الدم الحمراء قد جفت عليه ..

نحن الآن أمام جثة كاملة .. واضحة المعالم .. ظاهرة التفاصيل .. لم تتحلل .. ولم تتغير .. هنا قررنا إخراج الجثة .. ثم قمنا بإصلاح القبر وترميمه .. ثم أعدنا أخانا الى مرقده .. ودّعناه .. ثم دفناه مرة أخرى .. ونحن نلقي عليه نظرات أخيرة .. حسبنا المدة الزمنية بين مقتله واستخراجه .. وجدناها حوالي (10) شهور .. أو تزيد .. رحمك الله يا (حمزة) .. وتقبلك في الشهداء ..

ومن باب الشيء بالشيء يُذكر .. كنا نرى قتلى الجيش الأفغاني .. لا يكاد يمرّ على أحدهم اليوم أو اليومان .. حتى تتنفخ جثته .. ثم تنفجر وتتحلل .. ويسيل منها الدم الأسود .. ويخرج منها الدود .. وتفوح الرائحة الكريهة النتنة .. ولا يستطيع أحد أن يقترب منها .. فالحمدلله على فضله ونعمائه .. وأسأله سبحانه أن يثبتنا على هذا الطريق .. وأن يختم لنا بالشهادة .. مقبلين غير مدبرين ..

بيت المقدس